

عاقبة التفريط بالندم

08.10.10

الحمد لله القائل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} والصلاة والسلام على أشرف

الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

أيها الأحبة: إن الحياة قصيرة محدودة، وأيام معدودة، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في الخير فطوبى له، ومن أضاعها وفرط فيها فقد خسر زمناً لا يعود إليه أبداً.

وينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، فإن الليل والنهار يُليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشيان الصغار، ويفنيان الكبار..

أشباب الصغير وأفنى الكبير كُرُّ الغداة ومَرُّ العشي

إذا ليلة أهملت يومها أتى بعد ذلك يوم فتي

إن مضي الزمن، واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به، والتفكير فيه، بل الذي يجدر بالمؤمن أن يعرف قيمة الوقت والعمر، وأن يعمره بطاعة الله - تعالى- وفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً.. وليكن حاله:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسلٍ إلى غدٍ إنَّ يوم العاجزين غد

ولنستشعر قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهو يحثنا على اغتنام أيام العمر وعدم التفريط بأي لحظة فيها، وهو يقول: (اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)الحاكم

بل لقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الإنسان سيحاسب على أيام حياته، هل ياترى استغلها في طاعة الله ومرضاته أم أنه قد ضيعها وفرط فيها قال - صلى الله عليه وسلم -: (لا تزولا قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه).الترمذي

ولذلك أيها الأحبة من جهل قيمة الوقت، ولم يعرف أهميته وبالتالي ضيَّعه وفرَّط فيه، فإنه سيندم أشد الندم، إذا ذهب من الحياة.

الموقف الأول الذي سيندم فيه: عند ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأُخِّر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده، ويتدارك ما فاتته قال -تعالى-: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}. المومنون 99

قال ابن كثير - رحمه الله -: ذكر -تعالى- أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار، ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم.

الموقف الثاني: في الآخرة حيث تُوفى كل نفس ما عملت، وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف ليبدءوا من جديد عملاً صالحاً، هيئات هيئات لما يطلبون، فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء..

قال الله -تعالى- عن ذلك: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} السجدة 12 وقال الله: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الانعام-27 وقال الله: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} غافر 11.

قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا، ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله - عز وجل -، فرحم الله امرأً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار. وقال الله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} مريم 39 قال ابن كثير - رحمه الله - في قول الله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ} أي: أنذر الخلائق يوم الحسرة (إذ قضى الأمر) أي: فصل بين أهل الجنة وأهل النار، وصار كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه (وهم) أي اليوم (في غفلة) عما أنذروا يوم الحسرة والندامة (لا يؤمنون) أي لا يصدقون به.

ثم أورد حديثاً أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال فيقال: (يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح.. قال: ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت). ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ

قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ { وأشار بيده ثم قال: (أهل الدنيا في غفلة الدنيا). رواه الإمام أحمد .

الخطبة الثانية.

أيها الأحبة: أما آن لنا أن نتنبه ونستيقظ من غفلتنا؟ أما آن لنا أن نندم على أيام وساعات ودقائق لم نستغلها في طاعة الله؟ أما آن لنا أن نعزم على استغلال ما بقي لنا من أعمارنا قبل أن نندم في ساعة لا ينفع فيها الندم؟!

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "ما ندمت على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد عملي". إن حالنا اليوم حال من اشتكى أمره إلى الحسن فقال: سبقنا القوم على خيلٍ دُهم ونحن على حُمُرٍ مُعقَّرة فقال: إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

وقال بلال ابن سعد - رحمه الله - : يقال لأحدنا هل تريد أن تموت؟ فيقول: لا. فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحاً، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يُحب أن يموت ولا يُحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله - تعالى- ولا يؤخر عمل الدنيا.

أيها الأحبة: دعوة إلى العودة والتوبة

إذا كنتُ أعلم يقيناً

بأن حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنيناً بها

وأجعلها في صلاح وطاعة

دعوة للتوبة قبل أن يقول الإنسان كما وصفه المولى جل وعلا {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ} الزمر 56

اللهم اجعلنا ممن وفقتهم لاستغلال أوقاتهم وأعمارهم بطاعتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلنا ممن ندموا على تفريطهم وعصيانهم فتابوا وأنابوا إليك يا رب العالمين..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..